﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾ [التّوبة: 79]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقةُ بين علمِ اللهِ بالسَّرائر، وتنديدِهِ بلمزِ المنافقين للمتصدِّق المبادرِ

لمّا أخبرَ اللهُ ﷻ أنَّهم لَم يَكْتَفوا بكُفْران نِعْمَةِ الغِنَى مِن غَيْرِ معاهَدَةٍ، حتَّى ارتكبوا كفرانَها معَ المعاهَدَةِ؛ بيَّنَ سُبحانَهُ أنَّهم لَم يكتفوا بذلك الإجْرامِ، حتَّى تَعَدَّوْهُ إلى عَيْبِ الكُرَماء الَّذين يبذلون ما لَيْسَ واجبًا عليهم، زيادَةً في التَّقرُّب إلى اللهِ ﷻ، وحُبًّا في فِعْلِ الخير، ونفع النَّاس، فقال سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَلۡمِزُونَ﴾: اللَّامُ والميمُ والزَّاي تدلُّ تصريفاتُها على مَعْنى العَيْبِ، يُقال: رجلٌ لَمّازٌ ولُمَزَةٌ، أي: عيَّابٌ[2]، واللَّمْزُ: الاغتيابُ وتتَبُّعُ المَعايبِ[3]، وذكر ابنُ سيدَه أنَّ اللَّمْزَ: هوَ العَيْبُ في الوَجْهِ بالعَيْنِ والرَّأْسِ والشَّفَةِ مع كلام خَفيٍّ، ويقال: "تلمِزُه بفيك بكلام خفيٍّ، وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التّوبة: 58]، أي: يحرِّكُ شفتَيه بالطَّلب، ورجل لُمَزَةٌ: يعيبُك في وجهك لا من خلفك، وهو من اللَّمْز، ورجلٌ هُمَزَةٌ: يعيبك من خلفك"[4]، واللَّمْزُ في قول اللهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ هو العَيْبُ، والمعنى: الَّذين يَعيبونَ على المُتَطَوِّعينَ[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/555.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لمز).
(3) الرّاغب، المفردات: (لمز).
(4) الرّاغب، المفردات: (لمز).
(5) الخضيريّ، السّراج في بيان غريب القرآن، ص: 79.

2) ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾: الطَّاءُ والواوُ والعينُ تَدورُ اشْتِقاقاتُها على لُيونَةِ شَيْءٍ وتَأَتّيهِ لِما يُراد مِنْهُ، ومنهُ قولُهُمْ: لِسانُهُ لا يَطوعُ بكَذا، أي: لا يَنْقادُ لَهُ، فَيَنْطِقُ بِما يُريدُه، ومنه التَّطوُّعُ، كما قالَ تَعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾ [البقرة: 184]، أي: طَوَّع نفسَه، ولَيَّنها، ففَعَلَ من غَيْرِ أَن يُطْلَبَ إِلَيْهِ زيادةً في الطَّاعةِ[1]. و﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ أصلُها: (المُتَطَوِّعينَ)[2]، والمطاوعةُ: الموافقةُ، والنَّحويُّون ربَّما سمَّوا الفعل اللَّازم مطاوعًا، ورجلٌ مطواعٌ، أي: مطيعٌ، وفلانٌ حسنُ الطَّواعيَة لك، مثال لفْظ الثَّمانية، أي: حَسَنُ الطَّاعةِ لكَ، وطاعَ له يطوعُ؛ إذا انقاد[3]، والمُتطوِّعُ في الآيةِ: هو المُتَصَدِّقُ تَطَوُّعًا، وقَد كانَ أَدَّى الفَرْضَ قَبْلُ[4].

3) ﴿جُهۡدَهُمۡ﴾: الجيمُ والهاءُ والدَّالُ تدلُّ تصريفاتُها على المشقَّةِ[5]، ويأتي بمَعْنى الطَّاقة والوُسْعِ[6]. ومِنَ الأوَّلِ الجَهْدُ - بفتح الجيم - وهو: المَشَقَّةُ، تقولُ: فَعَلْتُ هذا بِجَهْدٍ، أَيْ: بِمَشَقَّةٍ[7]. ومِنَ الثَّاني الجُهْدُ - بضمِّ الجيم - وهوَ الوُسْعُ والطَّاقَةُ[8]، والجهدُ أيضًا: "بلوغك غايةَ الأمرِ الَّذي لا تألو عن الجهد فيه، تقول: جهدْتُ جهدي، واجتهدت رأيي ونفسي، حتَّى بلغتُ مجهودي، قال ابن السِّكِّيت: الجهد: الغاية. وقال الفرَّاءُ: بلغتُ به الجهد، أي: الغاية، واجهد جهدَك في هذا الأمر، أي: أبلغ فيه غايتك"[9]، ومِنْهُ قول اللهِ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ أي: يُخْرِجونَ في الصَّدقة ما اسْتَطاعوا[10].

4) ﴿فَيَسۡخَرُونَ﴾: السِّينُ والخاءُ والرَّاءُ تدلُّ اشتقاقاتُها على مَعْنَى الاحْتِقار والاستِذْلالِ[11]، ومِنْهُ قَوْلُهم: سَخِرْتُ مِنْهُ، أي: هَزِئْتُ بِهِ، وتهكَّمْتُ[12]. وقولُ اللهِ ﷻ: ﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾، أي: يستَهزِئُونَ بِهم، ومعنى سُخْريَة اللهِ تعالى

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (طوع).
(2) اليَفُرَنيّ، الاقْتِضابُ في غريب الموطّأ وإعرابه على الأبواب: 1/204.
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (طوع).
(4) محمّد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3388.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جهد).
(6) الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن: (جهد).
(7) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 190.
(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (جهد)، وأبو عبيد الهرويّ، الغريبين في القرآن والحديث: (جهد).
(9) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (جهد).
(10) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 345.
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سخر).
(12) الخطابيّ، غريب الحديث: 2/289.

بالمُنافقينَ: أنَّه جَعَلَ لَهُم في الدِّين مِنَ الأحكام المُدْخلَةِ لَهُم في عِداد مَن يشملُهُ اسمُ الإسْلام، مَعَ عِلْمِهِ سُبحانَهُ بكذبِهِم، واطِّلاعِهِ عَلى خُبْثِ اعْتقادِهم، فكانَ هذا مِن فِعْلِه بِهِم مُسْتَهْزِئًا، وبِهِم ساخرًا، فهو جَزاءٌ لَهُم عَلى سَبيلِ المقابلَةِ، ولَيْسَ هذا مِن بابِ المشاكَلَةِ في طَريقَةِ اعتقاد أهل السُّنَّة والحديث[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مُجازاةُ اللهِ تَعالى العِبادَ مِنْ جِنْسِ أَعْمالِهِمْ، حكمةٌ وعدلٌ

مَعَ بُخْلِ هَؤلاءِ المُنافقينَ عَن بَذْلِ الخَيْرِ؛ فإنَّه لا يَسْلَمُ المتصدِّقون من أذيَّتِهم؛ فإنَّ المُنافقينَ يَعيبونَ المُتطَوِّعين، إذا تصدَّقوا عَلى أَهْلِ المَسْكَنَةِ والحاجَةِ بِما لَم يوجِبْهُ اللهُ تعالَى عليهم في أَمْوالِهم، ويَطْعَنون فيها عليهم، فإذا تَصَدَّق الأغنياءُ بمالٍ كثيرٍ ادَّعوا أنَّهم مُراؤونَ، وإذا تصدَّق الفُقَراء بِما في طاعَتِهم ووُسْعِهم؛ اسْتَهْزَؤوا بِهِم، وقالوا ساخِرينَ مِنْهُم: ماذا تُغْني صَدَقَتُهم هذِهِ؟ فجَزاهُم اللهُ تَعالى عَلى سُخْريَتِهم أَنْ سَخِرَ اللهُ تَعالى مِنْهُمْ، ولَهُم في الآخِرَةِ عذابٌ مُؤْلِمٌ موجِعٌ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ الفَصْلِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ﴾:

فُصِلَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ؛ لوقوعِهِ استئنافًا ابتدائيًّا؛ لبيان نوعٍ آخرَ مِن أعمالِ المنافقينَ القبيحَةِ؛ وهوَ عيبُهُم وطعنُهُم في مَن يتصدَّقُ طَوْعًا[3]، "والمعنى: أنَّ المنافقين كانوا يعيبون المسلمين؛ إذا تطوَّعوا بشيء من أموالهم، وأخرجوه للصَّدقة، فكانوا يقولون: ما أغنى الله عن هذا! ويقولون: ما فعلوا هذا إلَّا رياء، ولم يكن لله خالصًا"[4].

بَيانُ لونٍ آخَرَ مِنْ أَعْمالِ المُنافِقينَ القَبيحَةِ

(1) عزّ الدّين مرير، عقيدة أهل السّنة والجماعة في صفات الله تعالى الواردة على سبيل المقابلة والرّدّ على المخالفين، ص: 393 - 394.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 14/381 - 382، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 199.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/110، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/274.

(4) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 5/355.

دِلالَةُ الاِسْمِ المَوْصولِ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

تَخَلُّقُ المُنافِقينَ بِالأَخْلاقِ الذَّميمَةِ الَّتي جرَّأتهم على الطَّعنِ في المؤمنين

جيءَ بالمُسْنَدِ إلَيْهِ اسمًا مَوْصولًا في قَوْلِ اللّهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، ليعُمَّ جميعَ أفرادِ المُنافِقينَ؛ إذ الاسْمُ المَوْصولُ يفيدُ العمومَ، فكان في التَّعبيرِ به تعبيرٌ بصيغةٍ تصلحُ لجميعِ ما مضَى مِنْ أصنافِهم؛ لبيانِ أنَّهم كُلَّهُمْ كانوا متخلِّقين بهذا الخُلُقِ الذَّميم، وإن لم يُصرِّحْ بِهِ نُطْقًا إلَّا بعضُهُمْ[1].

دِلالَةُ الإيجازِ في: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾:

لَمْزُ المُطَّوِّعينَ مِنَ الأَوْصافِ الَّتي يَسْتَحِقُّ صاحبُها الذَّمَّ والتَّحْقيرَ

الاسْمُ المَوْصولُ في قَوْلِ اللّهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ في محلِّ رفْعٍ على أنَّه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، أي: هُمُ الذينَ، ويجوزُ أن يكونَ الاسْمُ المَوْصولُ في محلِّ نصبٍ على الذَّمِّ، والمَعْنى: أذمُّ الَّذين يَلْمِزونَ المطَّوِّعينَ، وثَمَّ وجهٌ آخرُ وهو أَن يَكونَ في محلِّ جَرٍّ، على أنَّه بدلٌ مِنَ الضَّمير في ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾[2]، وهذه الأوجهُ لا تنافيَ بينَها، بل بعضُها يُكمِّلُ بعضًا، ويزيدُ دلالتَهُ قوَّةً.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَلْمِزُونَ﴾:

اسْتِمْرارُ المُنافِقينَ عَلى الأَفْعالِ الشَّنيعَةِ صَيَّرَها طَبْعًا فيهِمْ

في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، عُبِّرَ عَن فِعْلِ اللَّمْزِ بِصيغَةِ المُضارِعِ ﴿يَلْمِزُونَ﴾، للإيماءِ إلى أنَّ لَمْزَ هؤلاءِ المُنافقين لِلمُتَطوِّعين مِن أَهْلِ الإيمانِ وسُخريَتَهُمْ مِنْهُم متكرِّرةٌ حينًا بعدَ حينٍ[3]، وليسَتْ أمرًا عرضَ مرَّةً، وانقطَعَ، بَلْ هَذا الخُلُقُ الذَّميمُ دأبُهُم وعادتُهُم، واللَّمزُ محرَّمٌ؛ لأنَّهُ لونٌ من الخديعة، تكون بخائنة الأعين، وبالإشارة الخفيَّةِ، بل هو من كبائرِ الذُّنوب في أمور الدُّنيا، وأمَّا اللَّمزُ في أمر الدِّين، ومتطلَّبات العبادةِ والطَّاعة، فأقبحُ وأقبح، ومنها: أنَّ من أطاع اللّهَ، وتطوَّع بخصلةٍ من

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/555.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/86، والآلوسيُّ، روح المعاني: 5/335.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/275.

خصالِ الخير، فإنَّ الَّذي ينبغي هو إعانتُه، وتنشيطُه على عملِه، وهؤلاء قصدوا تثبيطَهم بما قالوا فيهم، وعابوهم عليه[1].

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾:

إخفاءُ الأَعْمالِ الصّالِحَةِ عَنِ المَخْلوقينَ مبالغةٌ في الإخْلاصِ

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، جاء التَّعبيرُ بلفظ ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ دونَ (المُتَطَوِّعينَ) في الآية الكريمة؛ لأنَّ في ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ إشعارًا بأنَّهم يتصدَّقون، ويُحِبّونَ إخفاءَ صدقاتِهِمْ، كما يومئُ إلَى ذلكَ الإدغامُ؛ فإنَّ حرفَ التَّاءِ أُخْفيَ فيه، فأشْعَرَ هذا الإخفاءُ بإخفاءِ العمَلِ عنِ المَخْلوقين، وهذه حقيقةُ الإخلاصِ[2]، لما في الإخلاص من فضلٍ، لأنَّ الرِّياء هو الشِّرك الأصغر، وهو يبطل الأعمال، ويمحقُ الأجرَ، وإنفاق الأموال أهمُّ ما تُبتلى فيه الأنفسُ، وقد مدح القرآن من تطوَّعَ بالإنفاق، مبتغيًا وجهَ اللهِ دونَ سواه بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: 8 - 9].

دِلالَةُ (ال) في لفظ ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾:

التَّنويهُ بالمُتَصَدِّقينَ بالكَثيرِ، توطئةٌ للتَّنويه بالمُتَصَدِّقينَ بالقَليلِ

اللَّامُ في ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ لاستغراق أفرادِ الجنسِ، فلفظُ ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ يعُمُّ كُلَّ متصدِّقٍ، سواءٌ أكان المتصدَّقُ بِهِ كثيرًا أو قليلًا، إلَّا أنَّ المرادَ ههنا - في قولِ بعضِ أهلِ العِلْمِ - هوَ الخصوصُ، وهُمُ المتصدِّقونَ بالكثيرِ، بدليلِ أنَّ اللهَ سُبحانه عطفَ المتصدِّقين بالقليلِ في قولِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[3]، فيكون في قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ مجازٌ مرسَلٌ، بعلاقةِ العموميَّة، ويجوزُ أن يَكونَ لفظُ ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ عامًّا باقيًا على عمومِهِ، وهذا أَظْهَرُ؛ إبقاءً لدِلالَةِ اللَّفظ عَلى حقيقتِهِ.

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن: 10/275.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/555.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/63.

دِلالَةُ (ال) في ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

اللَّامُ في ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ دالَّةٌ على الكَمالِ، فقوله: ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، أي: الكامِلينَ في الإيمانِ الرَّاسِخينَ فيهِ[1].

الإيماءُ إلى كَمالِ الإيمانِ والرُّسوخِ فيهِ، مقابلَ النِّفاقِ والغلوِّ فيه

دِلالَةُ حَرْفِ الجَرِّ ﴿فِي﴾:

حَرْفُ الجَرِّ ﴿فِي﴾ مِنْ قول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ دالٌّ على الظَّرفيَّةِ، وهي ظرفيَّةٌ مجازيَّةٌ، بتنزيلِ سَبَبِ اللَّمْزِ منزلةَ الظَّرْفِ للمُسَبَّبِ[2]، وفيه إيماءٌ إلى شدَّةِ هذا الطَّعْنِ وبُعْدِ غَوْرِه.

بيانُ مبالغةِ المُنافِقينَ في الطَّعْنِ عَلى أَهْلِ الإيمانِ

بلاغةُ الإطْنابِ في: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾:

لفظُ ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾، عامٌّ باقٍ على عمومِهِ في الأظْهَرِ، فيشمَلُ المتصدِّقين طَوْعًا بالقَليلِ والكَثيرِ، فيعُمُّ الموسِرَ والمُعْسِرَ، ويكون الإطنابُ في قولِ اللهِ تَعالى بعدُ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾، وفيه تَنْصيصٌ على المُعسِرِ من بابِ عَطْفِ الخاصِّ على العامِّ؛ تنبيهًا على زيادَةِ فضلِه، وشرَفِ منزلَتِه، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ الحثَّ على قليلِ الخيرِ ويسيرِهِ كالحثِّ على كثيرِهِ وعظيمِهِ[3].

الحَثُّ عَلى قَليلِ الخَيْرِ وَيَسيرِهِ، كالحَثِّ عَلى كَثيرِهِ وَجَليلِهِ

دِلالَةُ الفاءِ في: ﴿فَيَسۡخَرُونَ﴾:

الفاءُ في قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ﴾ دالَّةٌ على التَّرتيبِ والتَّعقيبِ، وذلك مُشْعِرٌ بمسارعةِ أهلِ النِّفاقِ إلى عَيْبِ المُؤمنين والطَّعْنِ فيهم، والسُّخريَةِ مِنْهُمْ، فَوْرَ تصدُّقِهم، وهذا دالٌّ على خُبْثِ

ازدراءُ النَّاسِ وَطَعْنُهُمْ طَبْعٌ مُتَأَصِّلٌ في نُفوسِ المُنافِقينَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/555.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/275.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/469، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 8/555.

بواطِنِهِمْ، وأنَّ العَيْبَ والطَّعْنَ صارَ طبعًا لَهُمْ، بحيثُ لا يقدرونَ علَى كَتْمِهِ وإخفائِهِ، بل لا يقدرونَ على التَّريُّثِ في إبْدائِهِ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ في: ﴿فَيَسْخَرُونَ﴾:

اسْتِمْرارُ المُنافِقينَ عَلى الأَفْعالِ المُستَقبَحةِ، فسادٌ في الطَّبعِ والخُلقِ

عُبِّرَ عَن فِعْلِ السُّخريَةِ بِصيغَةِ المُضارِعِ (يَسْخَرونَ) مِنْ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾؛ للإشْعارِ بِأنَّ سُخْريَّةَ هؤلاءِ المُنافِقينَ بِالمُتَطوِّعينَ، من أهلِ الإيمانِ، واستهزاءَهُمْ بِهِمْ، متكرِّرةٌ حينًا بعدَ حينٍ[1]، وليسَتْ مِنَ الأمورِ العارِضَةِ الَّتي مِن شأنِها أنْ تَنْقَطِعَ، بَلْ هذِهِ الأخْلاقُ الذَّميمَةُ عادتُهُم ودأبُهُمْ.

نُكْتَةُ تَعْريفِ المُسْنَدِ إلَيْهِ بِالعَلَميَّةِ (الله):

إظْهارُ فداحةِ السُّخريَةِ بالمنافقينَ جَرَّاءَ سُخْريَّتِهِمْ مِنَ المؤمنين

في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾، عُرِّفَ المُسْنَدُ إلَيْهِ بالعَلَميَّةِ في قول الله ﷻ: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾، لإظْهارِ عظَمَةِ هذهِ السُّخريَّةِ الَّتي يُقابَلونَ بها؛ إذ هيَ صادِرَةٌ ممَّنْ له جميعُ صفاتِ الجلالِ والكمالِ والجمالِ، وصفاتُهُ ﷻ، ومِنْها ما يكونُ على وجهِ المقابَلَةِ - كمالٌ في حقِّهِ تعالَى، ولا مُنْتَهَى لكمالِها.

بَراعَةُ المُقابَلَةِ: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾:

إثْباتُ السُّخْريَّةِ للهِ تَعالى كَمالٌ في حَقِّهِ سُبْحانَهُ

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾، مقابلَةٌ سخريَّةِ المُنافقينَ مِنَ المُؤْمنينَ بِسُخْريَّةِ اللهِ تعالَى مِنْهُمْ، ومَعْنَى سُخْريَّةِ اللهِ ﷻ مِنْهُم: أنَّه جَعَلَ لَهُم في الدِّينِ مِنَ الأحْكامِ المُدْخِلَةِ لَهُم في عِدادِ مَن يشملُهُ اسمُ الإسلامِ، معَ عِلْمِهِ سُبحانَه بكذبِهِم، واطِّلاعِهِ على خُبْثِ اعْتقادِهِم، فكانَ هَذا مِن فِعْلِهِ بِهِم مُسْتَهْزِئًا، وبِهِم ساخرًا، فهو جزاءٌ لَهُم عَلى سبيلِ المقابلَةِ، وليسَ هَذا مِن قَبيلِ المشاكَلَةِ، علَى ما هوَ الحقُّ، وهيَ طَريقَةُ أهلِ السُّنَّةِ والحديثِ[2]؛ لِما

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/275.

(2) عزّ الدين مرير، عقيدة أهل السّنة والجماعة في صفات الله تعالى الواردة على سبيل المقابلة والرّدّ على المخالفين، ص: 393 - 394.

يترتَّب عَلى القولِ بالمشاكَلَةِ - بمعناها في اصطلاحِ البلاغيِّينَ - مِنَ الفسادِ العقَديِّ.

دِلالَةُ الخَبرِ في: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾:

لا تُخْرَجُ الجُمْلَةُ الخَبَرِيَّةُ عَنْ أَصْلِ دِلالَتِها إِلَّا لِقَرِينَةٍ تُفيدُ ذَلِكَ

قولُ اللهِ تعالَى: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جملَةٌ خبريَّةٌ لفظًا، يجوزُ أن تكونَ باقيةً على دِلالَتِها الخبَريَّة، ويَجوزُ أن تَكون إنشائيَّةً مَعْنًى يُرادُ بها الدُّعاءُ[1]، إلَّا أنَّ القولَ بإنشائيَّتِها يترتَّبُ عليهِ القولُ بجوازِ عطْفِ الخبَرِ على الإنشاءِ؛ لأنَّ اللهَ سبحانه قال بعدُ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهي جملة خبريَّةٌ قَطْعًا إلَّا أنَّ هذا الإيرادَ يُدْفَعُ بأنَّ القولَ الصَّحيح جوازُ عطفِ الخَبَرِ على الإنشاءِ، والإنشاءِ على الخبَرِ، والقرآنُ الكريمُ طافحٌ بِهِ، ومع ذلك فحَمْلُ الجُمْلَةِ على كونِها خبريَّةً في المَعْنَى أَوْلى وأظهَرُ؛ لأنَّ إخراجَها عن هذا ضرْبٌ من ضروبِ المجازِ، والحقيقةُ ههنا ممكِنَةٌ، فتتَعَيَّنُ.

نُكْتَةُ تَقْديمِ ما حَقُّهُ التَّأْخيرُ في: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

الإيماءُ إلى أَحَقِّيَّةِ المُنافِقينَ بِالعَذابِ الأَليمِ

قُدِّمَ مُتَعَلَّقُ الخبرِ في قول اللهِ ﷻ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ للدِّلالةِ على الاختصاص، والإشارَةِ إلى كَوْنِهم أحقَّاءَ بالعَذابِ الأَليم؛ نَظَرًا لِاخْتِصاصِهم بِجُرْمِ النِّفاقِ الَّذي فاقَ الكفرَ. فهذا النَّوْعُ مِنَ العَذابِ خاصٌّ بِهِمْ، ومَنْ دونَهُمْ مِنْ أصحابِ المَعاصي ممَّن توُعِّدَ بالعذابِ الأليم؛ لَهُمْ عَذابٌ دونَ عذابِ المُنافِقينَ.

سِرُّ تَنْكيرِ لفظ ﴿عَذَابٌ﴾:

فظاعةُ عَذابِ المُنافِقينَ عند الله يوم القيامة

نُكِّر لفظُ العذابِ مِنْ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، للدِّلالةِ عَلى تَهْويلِ هذا العذابِ وتفخيمِهِ وتعظيمِهِ، أي: إنَّ للمُنافقينَ عذابًا عظيمًا مَهولًا[2]، والَّذين يستحقُّون العذابَ، هم الَّذين عاقبهم اللهُ بالسُّخريَّة منهم؛ لأنَّهم سخروا من المؤمنين، وقد كان ذلك الأمر

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/64.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/87.

جزاءً وفاقًا، لما قدَّمت أيديهم، فسقاهم الله من نفس الكأسِ الَّتي كانوا يسقونَ النَّاس منها، فإذا سخر ساخرٌ من الصَّدقات، واستهزأ بأهلها، سخر الله منه، واستهزأ به.. إنَّه عدوٌّ للهِ محاربٌ له، وحسب من يعادي الله ويحاربُه، ضياعًا، وهلاكًا، وسوء مصيرٍ"[1].

بَلاغةُ المَجازِ العَقْليّ في: ﴿أَلِيمٌ﴾:

قولُه: ﴿أَلِيمٌ﴾، من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، واردٌ على وزانِ (فَعيل)، وَتأتي هذه الصِّيغةُ (فعيلٌ)، بمعنى اسم الفاعل، وبمعنَى اسم المَفْعول، واللَّفْظُ في الآية يَحْتَمِلُ الوَجْهَيْن: أحدُهُما: ﴿أَلِيمٌ﴾ بمعنى: مُؤْلِم، أي: هوَ عذابٌ يوجِعُ مَن يقَعُ عليه. والآخَرُ: ﴿أَلِيمٌ﴾ بمعنى مُؤْلَم، ويكونُ مَجازًا عقليًّا؛ لأنَّ المُؤْلَمَ هو المُعذَّبُ لا نفسُ العذابِ، والقَصْدُ مِنْهُ الإيذانُ ببُلوغِ العذابِ الغايةَ في الإيلام، وكِلا الوَجْهَيْنِ حَسَنٌ، ولا مانِعَ مِن حَمْلِ لَفْظِ ﴿أَلِيمٌ﴾ عليهما معًا؛ حَمْلًا لِلْمُشْتَرَكِ على مَعْنَيَيْهِ.

عـذابُ المُنافِقينَ غايةٌ في الإيلامِ، وعـدلٌ مـن ربِّ الأنام

دِلالَةُ الجُمْلَةِ الاسْميَّةِ في: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

عُبِّر عَن ثُبوت العذابِ الأليم للمُنافقينَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قول الله ﷻ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، للدِّلالَةِ على الدَّوامِ والاسْتِمْرارِ، وأنَّ العذابَ الحاصل للمُنافقين في الآخِرَةِ لا انقطاعَ لَهُ[2]، ذلك أنَّهم لم ينقطعوا عن تثبيط المؤمنين عن فعل الخير بالتَّطوُّع بالصَّدقات، فتطاولوا بالقول على المعطي كثيرًا، واستهزؤوا بمن أعطى قليلًا، وهم على علم بأنَّ اللَّهَ غنيٌّ عن صدقةِ المتصدِّق بالقليلِ والكثير، ولكنَّه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرونَ إليه، ونظرًا لما في قول المنافقين هذا، من التَّثبيط عن الخير بما هو ظاهر بيِّنٌ، فقد كان جزاؤهم أن سخرَ اللَّه منهم، وكافأهم من جنس ما قالوا، وفعلوا، وجعل لهم العذابَ الأليمَ[3].

تَعْذيبُ المُنافِقينَ أليـمٌ؛ لأنَّـه في الـدَّرك الأسفل من النَّار

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 5/854.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/87.
(3) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 345.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 17 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-14-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 17 : المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-14-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4716310 بتاريخ 2024/01/24م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»